

## مرحلة الشباب.. انفتاح وتفاؤل وأمل



لا يخفى على أحد إنّ الإنسان في مرحلة الشباب يصل إلى أعلى المراتب من حيث الطاقة، ويصبح طاقة حيوية كبيرة، باستطاعته أن يغير العالم في طرفة عين، وربما يهدي بعض الخدمات ويساعد في نمو المجتمع. ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه هذه المرحلة حيث إزّها القوّة بعد الضعف: (الْأَذْيَ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ ضَعْفًا وَشَيْءًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الرَّقِيدُ) (الروم / 54). وإذا كان معنى الشباب أوّل الشيء، فإنّ مرحلة الشباب تتلخص في إزّها مرحلة التطلّع إلى المستقبل بظواهر عريضة وكبيرة.. فمرحلة الشباب هي ربيع العمر، وهي مرحلة الأمل والتفاؤل لأنّها مرحلة الانفتاح على الحياة والمستقبل، وتهدّي المخاطر والصعوبات، وبالتالي فهي مرحلة الخصب والنمو والعطاء. ولذلك يفترض أن تغيب أو تسقط من قاموس الشباب المؤمن مفردات من قبيل: الإحباط، الفشل، الطريق المسود، اليأس، القنوط، التساؤل، التوقع، الانكماش، انطفاء الجذوة، خمود الهمّة، الانتكاسة.. وما شاكل، لتحلّ محلّها كلمات: التفاؤل، تكرار المحاولة، ربح المحاولة، إعادة الكرّة، صفة جديدة، النهوض من جديد، العزم، الإصرار، المواصلة. فالتركيز على السلبيات وحدها يعمّق معنى اليأس في النفس، فاليأس لا يرى سوى الظلمة والخيبة والخسران. إزّه كما هو الوصف التقريري للحالة: يرى النصف الفارغ من الكأس، أمّا المتفائل فهو الذي يرى النصف المملوء منه. فليس هناك سلبي مطلق لا يخلو من إيجابيات، وليس هناك إيجابيات مطلق لا يخلو من سلبيات.. وتلك هي نسبية الحياة الدُّنيا في كلّ شؤونها وشجونها.

الشباب هم أطفال الأمس، وعماد الحاضر، وقوّة المستقبل، ويُعتبرون الركيزة الأساسية في تقدّم وبناء كلّ مجتمع، فهم يحملون بداخلم طاقات وإبداعات متعدّدة، يحرصون من خلالها على تقديم الأفضل للمجتمع الذي يعيشون فيه، ويستطيع الشباب من خلال التعاون بين بعضهم البعض على الرقي بالمجتمع، وحيث الآخرين على المشاركة الفعّالة في تقدّمه، كما أنّ هذا الدور الذي يلعبه الشباب ينعكس إيجابياً على معارفهم، وزيادة تأثيرهم وتأثيرهم بالآخرين. الشباب هم نبع الحياة في المجتمع، ولا شكّ في أنّ لديهم قدرات عقلية فائقة، وإمكانات كبيرة فيما يخص التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ومفردات الحياة العصرية التي نعيشها الآن. ولا شكّ أنّ مهمّة توجيه تلك الطاقات واستغلالها إيجابياً

هو أفضل استثمار يمكن أن يؤدّي إلى تقدّم أي مجتمع وتفوقه بكلّ تأكيد. ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى هذه الطاقات، لنزرع الأمل في الشباب وننهيّهم لمستقبل مشرق وإيجاد قاعدة إنتاجية مبدعة مفكرة تأخذ بيد مجتمعها لمسايرة التطوّر العملي والتطوّر العالمي السريع.

هناك مسؤولية كبيرة على عاتق الجميع.. فإنّ تملّك زمام الشباب لا يكون إلّا بجذب بناءً صحيحاً في العقيدة والعمل بحيث يوفّر للشباب من الجنسين العمل في قبال البطالة، والعلم والدراسة في قبال الجهلة، والسكن والمسكن والعلاج الصحي والحماية وغيرها في قبال عدمها. إذن ثمة مسؤوليات مُلقة على عاتق الجهات ذات العلاقة من أجل بناء هذه الشريحة وفق عناصر دعم يجب توافرها ومنها بناء العقيدة الصحيحة، حيث الإيمان يشكّل مصدراً مهمّاً من مصادر بناء شخصية الإنسان وتطوّرها، ثمّ توفير الشرط الإنساني المتمثّل بتحقيق الذات عبر العمل.. فالشباب هم قمة حيوية الشعب أو الأُمة، والعمل هو الميدان الذي يحرّك هذه الحيوية ويجددها في آن، وغيابها يعني تحجيم وربّما (قتل) الشباب ودورهم. هنا نتذكّر المثل الصائب الذي يقول: «مَنْ جَدَ وَجَدَ وَمَنْ زَرَعَ حَصْدًا»، فالآئمّة التي تبذل اهتماماً كافياً في تنمية غرسها الجديد «أطفالاً» ثمّ شباباً سوف تحصد ثمار هذا الزرع بما يدعم الأُمة في حاضرها ومستقبلها علمياً وعملاً في آن واحد، لذا يتوجب الأمر اهتماماً واضحاً وكبيراً في المساعدة على حل مشكلات الشباب التي تعترض حياتهم العلمية والعملية من عوائق تقف في طريق تقدّمهم وتتّبّع قدراتهم ودورهم في تطوير الفرد والمجتمع معاً.